الفصل الثالث

محمود سامي البارودي وشعره بالمدح

أ. ترجمته وأعماله في شعر

يعتقد كثير من مؤرخي الأدب العربي أنّ حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٨م كانت نقطة انطلاق النهضة في العالم العربي، إذ شملت كل جوانب الحياة السياسية والفكرية والعلمية والأدبية كما كانت بمثابة ثلمة في ستار الحكم العثماني ظل يحوط العالم العربي عدة قرون، وفي الجانب الأدبي من هذه النهضة فقد شارك الكثير ممن كرّس حياته وأنتج أعمالاً مجيدة في هذا المجال ومن جملة هؤلاء الأدباء، محمود سامي البارودي الذي يعدّ رائداً للنهضة الأدبية العربية الحديثة.[١] حيث قال عنه عمر الدسوقي إن " الشعر العربي الحديث الذي نتذوقه ونقرؤه مدين لمحمود سامي البارودي رائد شعراء النهضة الحديثة بدين كبير".[٢]

ولد محمود سامي البارودي بمصر لأبوين من الجراكسة في ٢٧ رجب ١٢٥٥ هـ / ٦ أكتوبر ١٨٣٩ م. وكان أبوه حسن حسني (بك) البارودي من أمراء المدفعية، ثم صار مديرا لبربر ودنقلة في عهد المغفور له مُحَمَّد علي (باشا) والي مصر، وكان عبدالله (بك) الجركسي جده لأبيه. أما لقبه "البارودي" فنسبه إلى بلدة إيتاي البارود إحدى بلاد مديرية البحيرة، ذلك أن أحد أجداده الأمير مرادا الباروديّ بن يوسف شاويش، كان ملتزما لها، وكان كل ملتزم ينسب في ذلك العهد إلى التزمه.

---

[١] مجلة الجميعة الايرانية للغة العربية وآدبها، *شعر المنفي والمغترب لدى محمود سامى البارودي*، (فصلية محكمة:٢٠١١) ص :٢١

[٢] عمر الدسوقي، *في الأدب الحديث*، الجزء الثاني(القاهرة: دار الفكر،دون تاريخ) ص:٢٨٣

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وكان أجداد البارودي يرقون بأنسابهم إلى حكام مصر المماليك .وكان الشاعر شديد الاعتداد بهذا النسب في شعره وفي كل أعماله، فكان له فيه أثر قوي في جميع أدوار حياته، وفي المصير الذي انتهى إليه.

ولقد حرِم البارودیّ العطف الأبويّ منذ نعومة أظفاره. مات تلقى محمود سامي البارودي أبوه بدنقلة وهو في السابعة من عمره، فكلفه بعض أهله وضمّوه إليهم. وقد تلقّى في بيتهم دراسته الأولى من الثامنة إلى الثانية عشرة من عمره، ثم التحق بالمدرسة الحربية مع أمثاله من الجراكسة والترك وأبناء الطبقة الحاكمة. فقد كانت الجندية مظهر السيادة والعزة، ومن ثم كان لزاماً على أبناء هذه الطبقة أن يتعلّموا فنونها لينهضوا بالمناصب الرئيسية للدولة. هذا إلى أن مصر كانت يومئذ في أوج النشاط الذي بثه فيها مُحَمَّد علي، والذي كان الجيش أسّه وقوامه.[٣]

وقد برزت القدرات القيادية والقتالية للبارودي، وتعددت مناصبه في الدولة، فتولى وزارة الحربية ووزارة الأوقاف، وعين مديراً لمحافظة الشرقية وأخيراً عين رئيساً لوزارة الدولة، كما كان أحد القادة ضمن الجيش الذي ارسه حاكم مصر إسماعيل باشا، لمعاونة الخليفة العثماني في الإستانة لتعرض تركيا للغزو من قبل روسيا عام ١٨٧٨م، وأبلى في المعركة بلاءاً حسناً.

إن محمود سامي البارودي الذي عاش في النصف الأخير من القرن التاسع عشر حياة حافلة بالثورة ضد النفود الأجنبي في وطنه مصر، وبالكفاح السياسي والعسكري لرفع لواء الحرية والكرامة في وطنه كان قمة في الشاعرية الخصبة التى بدت في عصرها كالدرة وسط أسداف الحياة الأدبية التى كانت امتدادا لفترة الانحسار الثقافي في العصر العثماني بصفة خاصة. ويضم تراثه الادبي إلى جانب ديوانه الكبير الذي يقع في أربعة أجزاء مختارات شعرية ذات أهيمة علمية كبيرة وقيمة أدبية سامية.

---

[٣] محمود سامي البارودي، *ديوان البارودي*، (بيروت: دار البعودة، ١٩٩٨) ص:٦

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ويقول الذين أرخو الحياة البارودي إنه بدأ كتابة هذه المختارات في مايو عام ١٩٠٠، وأنجزها في أبريل عام ١٩٠٣. واعتقد أن هذه المختارات كانت في الأصل تقييدات جمعها البارودي على مدى سنوات طويلة من عمره، ربما كانت إبان تحصيله وقراءته الاولى وكان يعود إليها من حين لآخر، ثم صحت نيته بعد عودته من المنفى على جمعها في كتاب وهذا ما فعله في الفترة من عام ١٩٠٠ إلى ١٩٠٣.[٤]

فهذه الحياة المضطربة وما يحمله في مكنون صدره من إطلاع واسع حول الأدب القديم جعل الشاعر رائداً للشاعر الحديث حيث امتزجت روح الفروسية والأدب في نفسه فصار ربَّ السيف والقلم وكان مطبوعًا على إنشاد شعر يجري على لسانه دون تكلّف ولكنه كان يرى أن الطبع وحده لايكفي للإنشاد ولايفي بل الشعر تهذيب وصقل فقال في ذلك:

أقول بطبع فيٍ لست أحتاج بــعده

إلى المنهل المطروق والمنهج الوعر

إذا جاش طبعي فاض بالدرّ منطقي

ولاعَجبٌ فالدر يَنشأ في البــحر[٥]

الشعر عند البارودي ديوان الأخلاق وتعبير عن توجهاته الفكرية وأهدافه وهذا ما نراه في قصائده، إذ لا يلوّثها بما يبعد عن ساحة الأخلاق الإنسانية فيقول :

والشعر ديوان أخلاق يلوح به

ما خطّه الفكرُ من بحثٍ وتنقير[٦]

---

[٤] محمود سامي البارودي، *مختارات البارودي الجزء الأول* (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٢) ص: ٧

[٥] محمود سامي البارودي، *ديوان البارودي الجزء الثاني* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١) ص:١٧

[٦] نفس المراجع، ص:١٥١

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ويوضّح مدى طموحه إلى الأدب الذاتي الراقي حيث يقول في مقدمة ديوانه: " الشعر لمعة خيالية يتألق وميضها في سماوة الفكر فتنبعث أشعتها إلى صحيفة القلب فيفيض بلألائها نورا يتصل خيطه بأسلة اللسان".[٧]

للبارودي ديوان أثر به الادب العربي يبلغ عدد أبياته آلاف بيت جلّها الوصف و الحماسة والفخر والحنين. وينقسم شعره إلى قسمين : أما القسم الأول فما قاله وهو في مصر أي قبل نفيه، أما القسم الثاني فهو ما أنشده في منفاه الذي طال سبعة عشر عاما ونيفا. وكان مقلدا للقدماء في كلا القسمين وذهب في نظمه للشعر مذهبين : الأول : معارضات مع الشعراء القدماؤ، والآخر هو الذي يمثل معظم أشعاره- محاكاة للقدماء في اللفظ والمعنى ولكن بالرغم من ذلك كله يلمس القارئ التجديد في طيّات شعره حيث تنبعث الأفكار من طبيعة الشاعر ومن أحداث أحاطت بعصره.

١. الخصائص الفنية لشعر الاغتراب عند البارودي

عندما يبتعد الشاعر عن مسقط رأسه وذوية يسعى وئدئ أن يواكب أدبه ظروفه البيئية والنفسية؛ ويبرز ذلك عنده في الجوانب المختلفة اللفظية والمعنية، منها خصائص فنية تجلت في طول أشعاره التي أنشدت في المنفي واتخاذ الاساليب الخصاة ووحدة الموضوع والتنوع والصدق السهولة والتكرار.

١) طول الأشعار

القصيدة الكلاسيكية الطويلة هي القالب في شعره، ويرجع دليل إختيار هذا النمط الشعري إلى تعاريج حال الشاعر في المنفي، أما المقطوعات الشعرية القصيرة فتكثر في الحالات المضنية والمسائل العاطفة والمعنوية

[٧] نفس المراجع، ص: ٥٥

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

كالموضوعات التي تربطها أواصر بالحنين والرثاء الزهد والحكمة وما إلى ذلك.

البيت الواحد هو أقل ما أنشده البارودي بينما أطول قصائده تبلغ أربعمائة وسبع وأربعين بيتا وذلك في قصيدة مدح بها رسول الله وآل بيته (صلى الله عليه وعليهم) مطلعها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم

واحد الغمام على حيٍّ بذى سلم[٨]

٢) البحور العروضية

البحور العروضية التي أستخدمها البارودي على التوالي هي: الطويل والبسيط والكامل والوافر والخفيف؛ وهي أكثر استخداما في شعره الاغترابي وتدلّ هذه الأوزان على تنوع حالات البارودي النفسية وتناغم هذه الأوزان مع موضوع الشاعر كما نرى البحر الطويل أول هذه البحور.

٣) أسلوب الحوار

إن الأساليب التي إتخذها الشاعر في المنفي تختلف عمّا قاله في وطنه؛ منها أسلوب الحوار، فيتحدث الشاعر مع العناصر المختلفة من الطبيعة والأشياء التي تلّف حوله،فتارة يخاطب حمامة تنوح معه فينشد قائلا:

أتُرى الحمام ينوح من طرب معي وندى الغمامة يستهل لمدمعي[٩]

يمزج البارودي كثيرا ما بين الطبيعة وبين عالمه الداخلي الوجداني فيستخدم صنعة التشخيص، مستخدما أسلوب النداء وصيغ الأمر والاستفهام وأسلوب الحوار:

---

[٨] نفس المراجع، ص :٢٩٣

[٩] نفس المراجع، ص :٢٢٥

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

ما أطول الليل على الساهر

أما لهذا الليل من آخر؟[١٠]

٤) أسلوب الإستفهام

ومما يستخدمه في بداية القصائد هو أسلوب الإستفهام ويستمر هذا التساؤل ويتخلّل شعره، كأنه يريد أن يسلّي نفسه وعواطفه المؤلمة، ومن جانب آخر يحاول تنبه السامع بهذه الأسئلة المتوالية للتعمق في هذه المعاني، علّ المخاطب يشاطره في تلك الآلام ويتنبه:

كيف طوتك المنون يا ولدي؟

وكيف أودعتك الثرى بيدي؟

فليَبكِ قلبي عليك فالعيــن

لاتبلع بالدمع رتبةالخــلد[١١]

في مكان آخر تتابع هذه التساؤلات الممزوجة بالإنكار:

هــل لسلام العلليل رد؟

أم لصباح اللقاء وعـــد

يا سعد قل لي فأنت أدري

متى رِعانُ العقيق تبـــدو؟

أشتاق نجدا وساكـــنيه

وأين مني الغداةَ نجـــدُ؟

فكيف أمسي بغير قـــلب؟

يانور عيني وكيف أغـــدو؟[١٢]

---

[١٠] نفس المراجع، ص :١٢١

[١١]نفس المراجع، ص :٢٤٨

[١٢] نفس المراجع، ص : ٢٥٩-٢٦٠

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٥) وحدة الموضوع وتنوعه

وحدة الموضوع لاتنافي وتنوع المواضيع عند البارودي؛ إذ تتنوع الموضوعات في قصائده ولكنها في القصيدة الواحدة تنحو نحو غرض معين ومع الإنسجام المؤهّل في العاطفة والإحساس؛ إذ أنشد أكثر قصائده في الشكوي والحنين وكل الموضوعات التي ترتبط بالوطنية من هذا النوع ويجب التنبيه بأن تنوع الموضوعات عنده لايعني عدم الإنسجام والإتباط بين أجزاء القصيدة، فمثلا في قصيدو مطلعها:

ولقد غدوت سراة أدهم لوجرى

في شأوه برق تعثر أوكـــــــبا[١٣]

يتحدث عن الحب والحماسة والفخر والرثاء والشكوى والحنين إلى الوطن والحكمة، لكنه يربط المضامين بعضها ببعض في صياغة رائعة.

٦) الصدق والسهولة والتكرار

يجد القارئ فيما يقرؤه من الأشعار الاغترابية أفكارا سهلة واضحة غير غامضة ولامعقدة وألفاظ جزلة قوية وصورا جزئية مستمدة من القديم؛ فشعره متحرر من المحسنات البديعية الغامضة، وهذه من الميزات العامة لأشعاره ويظهر هذا العنصر بشكل بارز في قصائد يعبر فيها البارودي عن مشاعر الحب والرثاء:

لاتحسبيني ملت عنك مع الهـــوى هيــهات ما ترك الوفاء بعادي

قد كدت أقضي حسرة لو لم أكن متوقعا لقياك يوم معـــــــادي[١٤]

وهذا عين ما نجده في قصائده الأخرى وإن اختلفت في بعض التقاط واستعصى اللفظ أو المعنى. كما أن التكرار في اللفظ والمعنى والمضمون

---

[١٣] نفس المراجع، ص:٨٥

[14] نفس المراجع، ٤٨

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

والأساليب، والدلالة الشعرية الخاصه للمفردة، تتبع ما جرى عليها القدماء وتأتي عبر الظروف المحيطة بالشاعر.

٢. موضوعات شعر البارودي في المنفي

مما لاشك فيه أن الشاعر في عزلته الطويلة التي قضاها في المنفى مرّ بظروف تختلف عما قضاها في مصر؛ ففي تلك الحقبة سيطرت عليه فكرة الوطن وظل يتذكر أسرته وأصدقائه وأيامه السعيدة التي قضاها معهم وانعكست كل هذه الحالات في أشعاره ولها اثر بالغ في المتلقي و «الأدب إذا لم يكن انعكاسا لحالة الشاعر النفسية لايؤثر تاثيرا نفسياً عميقاً؛ لأن الشاعر لايتمثل فيه ما يعانيه في واقعه أو يتنازع به مع عصره وذلك يعني أن مثل ذلك الأدب لايرافق الإنسان في محاولته لتحقيق نفسه عبر الزمان ومعظم الآثار الأدبية الخالدة تعكس مشكلة العصر والحالة النفسية للشاعر»[١٥] وبما أن التجربة الشعرية عند البارودي كانت وليدة المعاناة الذاتية والمعايشة الوجدانية للملمّات كان تعبيره عنها اقرب إلى الصدق حيث جعلت شعره العطفي من أصدق الأشعار في عصرنا الراهن.

١) الحنين الى الأهل والأصدقاء

إمتازت مراثي البارودي بصدق الإحساس ورقة العاطفة لذا فنه لم يرث صديقا أو قريبا إلا كان رثاؤه صادقا بعيدا عن شعر المناسبات، ويبدو على شعره الحزن العميق بعد أن تسلم خبر وفاة زوجته وتعد هذه القصيدة من عيون الشعر العربي في رثاء الزوجات يقول :

أَيَّدَ المنون قدحت أي زنـاد

أطرت أية شعلة بفـؤادي[١٦]

---

[١٥] إيليا حاوي، *في النقد والأدب الجزء الأول* (بيروت: دار الكتب اللبناني، الطبعة الخامسة، ١٩٨٦) ص:٩٥

[١٦] محمود سامي البارودي، *ديوان البارودي الجزء الثاني* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١) ص: ٢٣٧

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٢) الحنين على الوطن

إذا نمعن النظر في الأشعار الاغترابية نرى أن الشاعر يقل صبره في أخريات نفيه وتتغير أحواله؛ وانعكست في قصائده ما ساوره في الشيخوخة منة حسرة وضعف وتوجّع وشوق الى وطنه؛ فكثير من أشعاره الوطنية التي تعود الى تلك الفترة الزمنية نلمس فيها لوعة الفراق؛ فلهذا كانت أشعاره الوطنية التي تتضمن الحنين من أجود ما نظم في حياته الشعرية وصار هذا الموضوع فنا بارزا ومستقلا على يد البارودي؛ ينقسم هذا الفن عنده على قسمين؛ قسم يرجع على شيخوخته؛ تغلبت فيه روح العاطفة الوطنية وبرغم محاولته لإخفاء حنينه لم يستطيع ذلك ونرى أن الشاعر يستخدم بعض الألفاظ الفخمة والمعاني الكاملة لروح الاعتزاز، لكننا عندما نتصفح ديوانه نلمس عمق الحنين في أشعاره؛ من مميزات شعره في هذا القسم، هي الحركة الخفيفة في أواخر القوافي واستخدام الحروف الرقيقة والمعاني الأنيقة منها قصيدة أنشدها في أواخر نفيه، جاء فيها:

لبيك يادعي الأشواق من داعي
أسمعت قلبي وإن أخطات أسماعي
يـــا حبــذا جرعة من ماء محنية
وضجعة فوق برد الرمل بالقـــــاع
ونسمة كشميم الخلد قد حـلمت
ريّا الأهير من ميـــث وأجـــــراع[١٧]

[17] نفس المراجع، ص:٢/٢٦٦

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

٢) الفخر و الحماسة

تطرق البارودي إلى كثير من الأغراض؛ منها الفخر والحماسة اللذان نكاد نلمسها في كل قصيدة من قصائده و« لعل من أكبر الأساليب التي هيَّات لفتوة البرودي ذلك النسب الذي يزّينه من المجد الحربي الذي ازدهي به آباؤه واجداده وسبب آخر ما قرأه البارودي من سير الفرسان وأبطالهم وما عبّه بشغف من أشعارهم الحماسية».[١٨] فقد إشتملت مضامين الفخر والحماسة عند البارودي على صرخات الناس المكتوبة من جور الحكام واضطهاد الإستعمار كما أنها كانت تحث الشعب للقيام والمطالبة بحقوقه المسلوبة؛ من ثم يعتبر الشعر السياسي والثورة وتوجيه الشعب والحرية والكبرياء الفخور عنده من الموضوعات المحورية في هذا الغرض كما في بعض الأحيان تطغى نفسيته عليه ويبرز عواطفه بذكر الوطن والأهل والأحبة والأصدقاء.

وكان البارودي لايرضخ إلى نوائب الدهر وإن ابتعد في تلك الفترة الزمنية عن ميادين الحرب والقتال فهو لاينسي تلك المناظر والمشاهد ولذا ينشد:

ولست ممن إن دجا حــادث
ألـــقى زمام الأمر أو فوّضا
جرّدت نفسي لطلاب العـــلا
والسيفُ لابـــــرهب أوينتضى
ســـــل عنِّي المجدَ ولاتحتشم
فـــالمجد يدري أيّ سيف نضا[١٩]

---

[١٨] سميح محمود إسماعيل، *الفتوة في شعر البارودي، دراسات العلوم الإنسانية والإجتماعية* (أردن: الجامعة الأردانية، ٢٠٠٣)

[١٩] محمود سامي البارودي، *ديوان البارودي الجزء الثاني* (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧١) ص:١٩١-١٩٢

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

وهو مؤمن بثورته ومحافظ على كرامة نفسه فيجيب المعاندين الذين اتهموه بطمع الحكومة مؤكدا أنه ثار لدينه ووطنه:

لم اقترف زلة تقضي على بـــما
أصبحت فيه فماذا الويل والحرب
فهل دفاعي عن ديني وعن وطني
ذنبٌ أدان به ظلما وأغتـــــرب؟[٢٠]

وبجانب ذلك فقد اهتم البارودي بتحريض الشعب وارشادهم وبثّ فيهم روح الحمية منها قوله:

ومن ذلّ خوف الموت كانت حياته
أضرّ علـــيه من حمـــامٍ يؤده
وأقتـــــــــلُ داء رؤية العين ظالما
يسيء ويتلى في المحافل حمده[٢١]

ب. شعره بالمدح

١) أبيات شعر المدح لمحمود سامي البارودي ، فيها:

يـا صَارِمَ اللَّحْظِ مَنْ أَغْرَاكَ بِالمهَجِ
حَـــــتَّى فَتَكْتَ بها ظُـلْماً بـلا حَـرَجِ
ما زالَ يَخْدَعُ نَفْسِي وهْيَ لاهِيَـــــةٌ
حَـــــتَّى أَصابَ سَوادَ الْقَلْبِ بِالـدَّعَجِ
طَرَفٌ، لو انَّ الظُّبا كانت كلحظتِهِ
يـــــومَ الكريهةِ ، ما أبقت على وَدَج
أوحـى إلى القلبِ ، فانقادَت أزِّمتهُ
طَـــــــوْعـاً إِلَيْهِ، وخَلاَّنِي وَلَمْ يَعُـــجِ

[٢٠] نفس المراجع، ص: ١١٤

[٢١] نفس المراجع، ص: ١٩٢

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

فكيفَ لى بتلافيهِ ؟ وقَد عـــــلِقَتْ

بـــــهِ حَبائلُ ذاكَ الشـادنِ الغَنـــــجِ

كـــادَتْ تُذِيبُ فُـــؤادِي نارُ لَوْعَتِهِ

لَـــوْ لَمْ أَكُنْ مِنْ مَسِيلِ الدَّمْعِ فِي لُجَجِ

لَـــوْلا الْفَوَاتِنُ مِنْ غِزْلانِ "كاظِمَةٍ "

مـــــا كانَ للحبِّ سُلطانٌ علَى المـــهَجِ

فَـــــهَل إلى صِلَةٍ مِنْ غادِرٍ عِدَةٌ

تَـــــشْفِي تَبارِيحَ قَلْبٍ بِالْفِراقِ شَـــجِ

أَبيتُ أرعى نُجومَ اللَّيلِ فى ظُلَـــــمٍ

يَـــخْـــشَى الضَّلاَلَةَ فيها كُلُّ مُدَّلِـــجِ

كَـــــأَنَّ أَنْجُمَهُ والْجَوُّ مُعْـتَكِـــرٌ

غِـــــيدٌ بِأَخبِيَةٍ يَنْظُرْنَ مِنْ فُـــــرَجِ

لَيْـــــلٌ غَـــياهِبُهُ حَيْرَى، وأَنْجُمُهُ

حَـــسْرَى، وساعاتُهُ في الطُّولِ كالْحِجَجِ

كأنَّما الصبحُ خافَ اللَّيلَ حينَ رأى

ظَـــــلْماءَهُ ذاتَ أَسْـــدادٍ، فَلَمْ يَلِـــجِ

فَـــلَيْتَ مَنْ لامَنِي لانَتْ شَـكِيمَتُهُ

فَـكَـــفَّ عَنِّي فُضُولَ الْمَنْطِقِ السَّمِـجِ

يـــــظنُّ بى سفهاً أنِّى على سـرفٍ

ولا يَـــكـــادُ يَرَى ما فيهِ مِنْ عِـــــوَجِ

فاعْدِلْ عَنِ اللَّوْمِ إنْ كُنْتَ امْرَأً فَطِناً

فـــاللَّوْمُ فـي الْحُبِّ مَعْدُودٌ مِنَ الْهَـوَجِ

هـــــيهاتَ يسلكُ لـومَ العاذلينَ إلى

قـــلبٍ بـحبِّ رسـولِ اللهِ ممتـــــزِجِ

هُـــــوَ النَّبِيُّ الَّذي لَوْلاَ هِـــــدَايَتُهُ

لَـــكانَ أَعـلَمُ مَنْ فِي الأَرْضِ كَالهَمَجِ

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

أنا الَّذى بتُّ مـــــن وجدى بروضتهِ
أَحِـــــنُّ شَـــوْقاً كَطَيْرِ الْبَانَةِ الْهَـــزِجِ
هاجَتْ بذِكْرَاهُ نَفْسِي، فـاكتَسَتْ وَلَهاً
وأىُّ صبٍّ بـــــذكرِ الشَّـوقِ لمْ يهجِ ؟
فَـــــمَا احْتِيَالِي؟ ونَفْسِي غَيْرُ صابِـرَةٍ
عـــــلى البعــادِ ، وهمِّى غيرُ منفـــرجِ
لا أســـــتطيعُ براحاً إن هممتُ ، ولا
أَقْوَى عَلَى دَفْعِ مـــا بالنَّفْسِ مِنْ حـــوَجِ
لَـوْ كانَ لِلْمَرْءِ حُكْمٌ في تَنَقُّلِـــــــهِ
مـــا كـــان إلاَّ إلى مغناهُ منعرَجِـــــــى
فهل إلى صلةِ الآمالِ من ســـــببٍ؟
أم هل إلـــى ضيقةِ الأحزانِ من فـــرجِ ؟
يا ربِّ بالمصطفى هب لي وإن عظُمَت
جَـــــرائِمِـــــي رحْمَةً تُغْنِي عَنِ الحُـجَجِ
ولا تكلنى إلى نفسى فإنَّ يـــــــدى
مـــغلولـــة، وصباحى غيرُ منبلـــجِ
مـــا لي سِواكَ، وأَنْتَ الْمُسْتعانُ إِذَا
ضَـــاقَ الزِّحـــامُ غَدَاةَ الموْقِفِ الْحَـــرِجِ
لم يَبْقَ لِي أَمَـــلٌ إلاَّ إِلَيْكَ، فـلاَ
تَقْطَعْ رَجائي، فَقَدْ أَشْفَقْتُ مِنْ حَـــرَجِي

٢) أسلوب الحوار في شعر "المدح" للبارودي

وبما أن تمّ نفيه فالغربة واليأس والتشاؤم جعلته يستمد من عنصر الزمن لمشاطرة حاله، فالليل من العناصر الرئيسية في شعره ونرى أنه ياتي بذكر الليل كثيرا في شعره لو قارناه بالأوقات الأخرى وهذا الأمر يلائم حالته المتغربة، حيث يشكو من ظلمة الليل ومن طولها وكثرة تهجده منشدا:

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id

أَبــيتُ أرعى نُجومَ اللَّيلِ فى ظُلَــمٍ
يَخْشَى الضَّلاَلَةَ فيها كُلُّ مُدَّلِـــــجِ
كَـــأَنَّ أَنْــجُمَهُ والْجَوُّ مُعْـتَـــكِرٌ
غِيـــدٌ بِأَخبِيَةٍ يَنْظُرْنَ مِنْ فُـــــــرَجِ
كأنَّما الصبحُ خافَ اللَّيلَ حينَ رأى
ظَلْماءَهُ ذاتَ أَسْــدادٍ، فَلَمْ يَلِـــجِ

digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id digilib.uinsby.ac.id